دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التفسير وعلوم القرآن : تفسير سورة الاخلاص
المصدر:	هدي الإسلام
الناشر:	وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية
مؤلف:	هيئة التحرير(عارض)
المجلد/العدد:	مج 16, ع 7,8
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1972
الشهر:	سبتمبر / شعبان
الصفحات:	723 - 727
رقم MD:	412638
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم ، تفسير القرآن ، سورة الاخلاص ، علوم القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/412638

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التفسير وعلوم القرآن

تفسير سورة الاخلاص

مقتبس من تفسير
« في ظلال القرآن »

بسم الله الرحمن الرحيم

(قلْ هوَ اللهُ أحَدٌ • اللهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ • ولَمْ يَكنْ لهُ كُفُواً أحَدٌ) •

هذه السورة الصغيرة تعدل ثلث القرآن كما جاء في الروايات الصحيحة • قال البخاري : حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعد ، ان رجلا سمع رجلا يقرأ : (قل هو الله أحد » يرددها • فلما أصبح جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر ذلك له ـ وكان الرجل يتقالها ـ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن •**

وليس في هذا من غرابة • فان الاحدية التي أمر رسول الله ـ صلى الله عليه ويسلم ـ ان يعلنها (قل هو الله أحد) ••• هذه الأحدية عقيدة للضمير ، وتفسير للوجود ، ومنهج للحياة •• وقد تضمنت السورة ـ من ثم ـ أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الاسلام الكبيرة ••

(قل هو الله أحد) •• وهو لفظ أدق من لفظ (واحد) •• لانه يضيف الى معنى (واحد) ان لا شيء غيره معه • وان ليس كمثله شيء •

انها أحدية الوجود •• فليس هناك حقيقة الا حقيقته • وليس هناك وجود حقيقي الا وجوده • وكل موجود آخر فانما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية •

وهي ـ من ثم ـ أحدية الفاعلية• فليس سواه فاعلا لشيء ، أو فاعلا في شيء في هذا الوجود أصلا •

وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضا ..

فاذا استقر هذا التفسير ، ووضح هذا التصور ، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة ، ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية .

خلص من التعلق بشيء من أشياء هذا الوجود ـ ان لم يخلص من الشعور بوجود شيء من الاشياء أصلا ـ فلا حقيقة لوجود الا ذلك الوجود الالهي . ولا حقيقة لفاعلية الا فاعلية الارادة الالهية . فعلام يتعلق القلب بما لا حقيقة لوجوده ولا حقيقة لفاعليته !

وحين يخلص القلب من الشعور بغير الحقيقة الواحدة ، ومن التعلق بغير هذه الحقيقة . فعندئذ يتحرر من جميع القيود ، وينطلق من كل الاوهاق . يتحرر من الرغبة وهي اصل قيود كثيرة ، ويتحرر من الرهبة وهي أصل قيود كثيرة ، وفيم يرغب وهو لا يفقد شيئا متى وجد الله ؟ ومن ذا يرهب ولا وجود لفاعلية الا الله ؟

ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود الا حقيقة الله ، فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها ـ وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه . ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئا في الكون الا الله . لانه لا حقيقة هناك يراها الا حقيقة الله .

كذلك سيصحبه نفي فاعلية الاسباب . ورد كل شيء وكل حدث وكل حركة الى السبب الأول الذي منه صدرت ، وبه تأثرت ، وهذه هي الحقيقة التي عنى القرآن عناية كبيرة بتقريرها في التصور الايماني . ومن ثم كان ينحى الأسباب الظاهرة دائما ويصل الأمور مباشرة بمشيئة الله : (**وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** ...) (**وما النصر الا من عند الله**) ... (**وما تشاؤون الا أن يشاء الله**) ... وغيرها كثير .

وبتنحية الأسباب الظاهرة كلها ، ورد الأمر الى مشيئة الله وحدها ، تنسكب في القلب الطمأنينة ، ويعرف المتجه الوحيد الذي يطلب عنده ما يرغب ، ويتقي عنده ما يرهب ، ويسكن تجاه الفواعل والمؤثرات والأسباب الظاهرة التي لا حقيقة لها ولا وجود .

وهذه هي مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة ، فجذبتهم الى بعيد ، ذلك ان الاسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق الى هذه الحقيقة وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها ، ويزاولون الحياة البشرية ، والخلافة الأرضية ، بكل مقوماتها ، شاعرين مع هذا ان لا حقيقة الا الله . وان لا وجود الا وجوده . وان لا فاعلية الا فاعليته . ولا يريد طريقا غير هذا الطريق .

من هنا ينبثق منهج كامل للحياة، قائم على ذلك التفسير وما يشيعه في النفس من تصورات ومشاعر واتجاهات :

منهج لعبادة الله وحده . الذي لا حقيقة لوجود الا وجوده ، ولا حقيقة لفاعلية الا فاعليته ، ولا أثر لارادة الا ارادته .

ومنهج للاتجاه الى الله وحده في الرغبة والرهبة . في السراء والضراء في النعماء والبأساء . والا فما جدوى التوجه الى غير موجود وجودا حقيقيا ، والى غير فاعل في الوجود أصلا ؟

ومنهج للتلقي عن الله وحده . تلقي العقيدة والتصور والقيم والموازين ، والشرائع والقوانين والاوضاع والنظم ، والاداب والتقاليد فالتلقي لا يكون الا عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة في الواقع وفي الضمير .

ومنهج للتحرك والعمل لله وحده .. ابتغاء القرب من الحقيقة ، وتطلعا الى الخلاص من الحواجز المعوقة والشوائب المضللة . سواء في قرارة النفس أو فيما حولها من الاشياء والنفوس . ومن بينها حاجز الذات ، وقيد الرغبة لشيء من أشياء هذا الوجود .

ومنهج يربط ـ مع هذا ـ بين القلب البشري وبين كل موجود برباط الحب والانس والتعاطف والتجاوب . فليس معنى الخلاص من قيودها هو كراهيتها والنفور منها والهروب من مزاولتها .. فكلها خارجة من يد الله ، وكلها تستمد وجودها من وجوده ، وكلها تفيض عليها أنوار هذه الحقيقة فكلها اذن حبيب ، اذ كلها هدية من الحبيب .

وهو منهج رفيع طليق .. الأرض فيه صغيرة ، والحياة الدنيا قصيرة، ومتاع الحياة الدنيا زهيد والانطلاق من هذه الحواجز والشوائب غاية وأمنية .. ولكن الانطلاق عند الاسلام ليس معناه الاعتزال ولا الاهمال ، ولا الكراهية ولا الهروب.. انما معناه المحاولة المستمرة ، والكفاح الدائم لترقية البشرية كلها واطلاق الحياة البشرية جميعها .. ومن ثم فهي الخلافة والقيادة بكل اعبائهما ، مع التحرر والانطلاق بكل مقوماتهما . كما اسلفنا .

ان الخلاص عن طريق الصومعة سهل يسير . ولكن الاسلام لا يريده. لأن الخلافة في الأرض والقيادة للبشر طرف من المنهج الالهي للخلاص . انه طريق أشق ، ولكنه هو الذي يحقق انسانية الانسان . أي يحقق انتصار النفخة العلوية في كيانه .. وهذا هو الانطلاق . انطلاق الروح الى مصدرها الالهي ، وتحقيق حقيقتها العلوية . وهي تعمل في الميدان الذي اختاره لها خالقها الحكيم .

* * *

من أجل هذا كله كانت الدعوة

الأولى قاصرة على تقرير حقيقة التوحيد بصورتها هذه في القلوب . لأن التوحيد في هذه الصورة عقيدة للضمير ، وتفسير للوجود ، ومنهج للحياة . وليس كلمة تقال باللسان أو حتى صورة تستقر في الضمير . انما هو الامر كله ، والدين كله ، وما بعده من تفصيلات وتفريعات لا يعدو ان يكون الثمرة الطبيعية لاستقرار هذه الحقيقة بهذه الصورة في القلوب .

والانحرافات التي أصابت أهل الكتاب من قبل ، والتي أفسدت عقائدهم وتصوراتهم وحياتهم ، نشأت أول ما نشأت عن انطماس صورة التوحيد الخالص . ثم تبع هذا الانطماس ما تبعه من سائر الانحرافات .

على أن الذي تمتاز به صورة التوحيد في العقيدة الاسلامية هو تعمقها للحياة كلها ، وقيام الحياة على أساسها ، واتخاذها قاعدة للمنهج العملي الواقعي في الحياة ، تبدو آثاره في التشريع كما تبدو في الاعتقاد سواء . وأول هذه الآثار أن تكون شريعة الله وحدها هي التي تحكم الحياة . فاذا تخلفت هذه الآثار فان عقيدة التوحيد لا تكون قائمة ، فانها لا تقوم الا ومعها آثارها محققة في كل ركن من أركان الحياة ..

* * *

ومعنى ان الله أحد : انه الصمد . وانه لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . ولكن القرآن يذكر هذه التفريعات لزيادة التقرير والايضاح .

(الله الصمد) .. ومعنى الصمد اللغوي : المقصود الذي لا يقضي أمر الا باذنه . والله - سبحانه - هو السيد الذي لا سيد غيره ، فهو أحد في ألوهيته والكل له عبيد . وهو المقصود وحده بالحاجات ، المجيب وحده لاصحاب الحاجات . وهو الذي يقضي في كل أمر باذنه ، ولا يقضي أحد معه .. وهذه الصفة متحققة ابتداء من كونه الفرد الأحد .

(لم يلد ولم يولد) .. فحقيقة الله ثابتة أبدية أزلية ، لا تعتورها حال بعد حال . صفتها الكمال المطلق في جميع الاحوال . والولادة انبثاق وامتداد ، ووجود زائد بعد نقص أو عدم ، وهو على الله محال . ثم هي تقتضي زوجية . تقوم على التماثل . وهذه كذلك محال . ومن ثم فان صفة (أحد) تتضمن نفي الوالد والولد ..

(ولم يكن له كفوا أحد) .. أي لم يوجد له مماثل أو مكافيء . لا في حقيقة الوجود ، ولا في حقيقة الفاعلية ولا في أية صفة من الصفات الذاتية. وهذا كذلك يتحقق بانه (أحد) ولكن هذا توكيد وتفصيل .. وهو نفي للعقيدة الثنائية التي تزعم أن الله هو اله الخير وان للشر الها يعاكس الله - بزعمهم - ويعكس

عليه أعماله الخيرة وينشر الفساد في الأرض . واشهر العقائد الثنائية كانت عقيدة الفرس في اله النور واله الظلام ، وكانت معروفة في جنوبي الجزيرة العربية حيث للفرس دولة وسلطان .

* * *

هذه السورة اثبات وتقرير لعقيدة التوحيد الاسلامية ، كما أن سورة (الكافرون) نفي لأي تشابه أو التقاء بين عقيدة التوحيد وعقيدة الشرك .. وكل منهما تعالج حقيقة التوحيد من وجه . وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستفتح يومه ـ في صلاة سنة الفجر ـ بالقراءة بهاتين السورتين .. وكان لهذا الافتتاح معناه ومغزاه .

دعـــاء !!

اللهم اني أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي ، وتلم بها شعثي ، وترد بها الفتن عني ، وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي ، وتبيض بها وجهي ، وتلهمني بها رشدي ، وتعصمني من كل سوء .